ذاكـــــــــرة

ليـث الخفـــاف وهـــذا الفن الـــشعبـي القـــديم

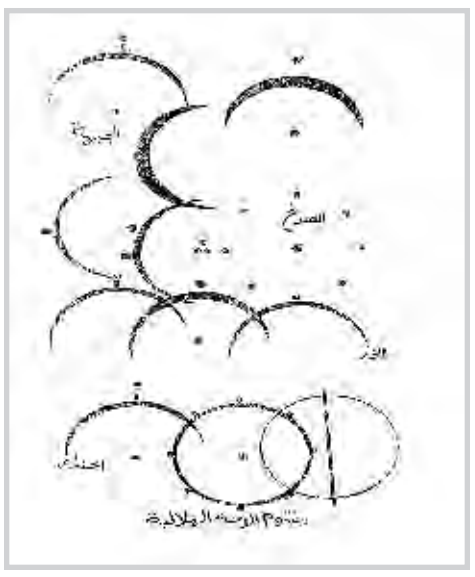

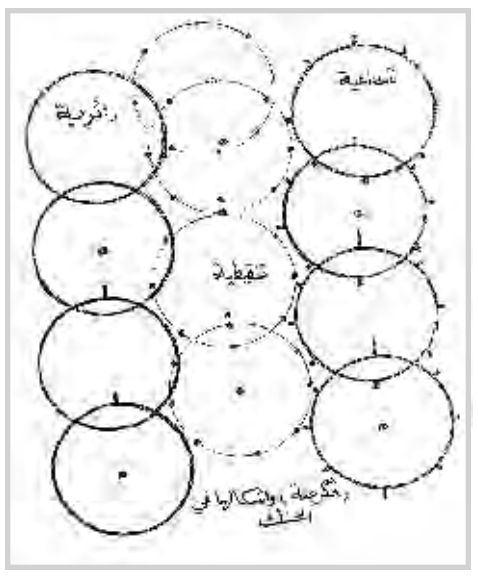

في العدد الرابع من مجلة (التراث الشعبي) نيسان ١٩٧٨ (التي كان يرأس تحريرها الرائد الفولكلوري لطفي الخوري ويقوم بسكرتارية تحريرها الشاعر سعدي يوسف) دراسة متكاملة عن (الوشم) بعنوان (نقاط تحت الجلد) بعد جولة في الموصل وسوق الشيوخ والناصرية، وقام الفنان الراحل الذي ارهقه الوشم برسم الوشوم التي درسها لتكون مادة فنية فولكلورية توثيقية. ان ليث الخفاف ظل طوال حياته القصيرة مهموماً بهذا اللون من الفن الشعبي منذ ان كان مدرساً في الجزائر وقد كتب عنه الكثير من البحوث وكان بحثه في ندوة بغداد الثالثة للتراث الشعبي الذي ألقاه عام ١٩٨٦ مبهرا للدارسين الفولكلوريين العراقيين والعرب.

إننا إذ نعيد نشر بحث الفنان الراحل نجده وثيقة ثمينة في العمل الفولكلوري الميداني وفي البحوث الرصينة في مجاله.

ثقافة شعبية

نقاط تحت الجلد
ليث الخفاف

(١)

على كرسي صغير، جلست شابة سمراء، وفي حدود القاعة كانت تسرح عيون فتبصر، ووقفت أتأمل.. وكان في دواخلي حس لا يمكن تجاهله، وهو يزداد في كل لحظة تمر، انه ذلك الاكتشاف، لا أدري كيف كانت عيناها تدوران تحت سواد حاجبين تتوسطهما نونة شذرية، وأخرى على خدها الأيسر بينما امتثلت ثالثة في الجهة اليمنى فوق الشفة العليا، وهبطت رابعة وسط الحنك، كل ذلك النقش اليدوي الذي أفاق مرة واحدة في وجه ريفية بثوب قصير متعديا بلطف ورضى رواد قاعة الفنون التطبيقية، فالوشم الذي كنت أبحث عنه، لا يتعدى حدود هذا الوجه وتلك اليد التي تتحرك فوق الخرائط المجسمة لتفصل بطريقة خلابة غابات أفريقيا عن أنهارها.. وأنا لا أستطيع أن أبوح بما في صدري، وأمام حشد وفي مجتمع تبدو فيه أسئلتي في منتهى الغرابة.. وبقيت ساعة أخرى أنتظر صديقاً وكان لا بد لي من ان أقول شيئا.. وجاء الصديق وقمنا بجولة بين المجسمات والصور والعصافير الرديئة التحنيط، والعيون الشذرية، والوجوه، والنقاط الوشمية الزرقاء، وكان آخر ما رأيناه، وما تحدثنا عنه.

قال صديقي: في حمام شعبي بمدينة الموصل.. حيث تتعرى الاجساد البشرية طلباً للحرارة والدفء والنظافة، ويمكن ان يقرأ ما يكتب على أذرع الرجال من كلمات لا تمحى، قرأت هاتين العبارتين، الأولى (كل حال إلى زوال).. والثانية : (تبا للاصدقاء ..وقد أثارتني العبارة الثانية فاستوقفت الرجل لأساله عن سر هذه الكلمات.. فامتنع ومضى.

وسألني صديقي..! أتعرف كيف توشم (توسم) البغال؟ قلت:- كلا

قال: . بالضغط بواسطة دبابيس من الأرقام مع مادة كيمياوية، وذلك تحت الشفة العليا، وحين يهتف به (رقمك) يرفع شفته العليا ليكشف عن رقمه! وضحكنا لهذه الحقائق الظريفة التي كنت اجهلها.

(٢)

كانت المكتبة العامة مغلقة، وكنت أرغب في الإطلاع على بعض المصادر، فغيرت طريقي نحو سوق الخضار، وهناك التقيت بصديقي.

وكان في السوق مجموعة غير قليلة من بائعي البيض والدجاج وأنواع الطيور، وهناك المخازن الخشبية التي فرشت سقوفها وجوانبها وأرضيتها بأنواع مختلفة من الحاجيات التي لا تمت أحداها بصلة إلى الأخرى، وتنتشر بين هذه المخازن الخشبية عشرات الوجوه التي تزينت بالنقاط الزرق في كل بروزاتها وغمازاتها وأنا انظر إلى هذا التدفق التشكيلي، عاجزاً عن حصر أو تدوين أي نموذج من هذه النماذج، فالنظر في وجه المرأة هنا عمل لا تحمد عواقبه، فكيف بي أن قمت برسم وشومها!.

وفكرت في حل لهذه المشكلة.

واعترفت لصديقي بعجز ذاكرتي عن الحفظ، وسعيت لوضع منهج دقيق لعملي في نقل هذا الموج الساحر من النقش، انه بحر لا ينضب، وبعد ملاحظاتي العديدة لكثير من الوجوه والنماذج، والنظر فيها بطريقة أو بأخرى، وجدت نوعين من الوشم.. النوع الأول هو البسيط وهو الذي لا يتعدى بضع نقاط تتوزع هنا وهناك في مناطق الوجه أو اليد والقدم والنوع الثاني المعقد، وهو الكثير من الأقواس والدوائر والخطوط تتوزع في الوجه، وفي انحاء مختلفة من الجسم، متتبعة بذلك انحداراته ودورانه، وبروزه.

وفي الوجوه.. لم أجد وجهين متشابهين إلا نادراً واستطعت ان أرى هذه النقاط لا تدور إلا حول الشفة، وفي الحنك، وتحت الأذنين، وفي الخدين وعلى الأنف، وعلى جانبي الصدغين، وفوق الحاجبين، وفي نقطة التقاء الأنف بالجبهة، ثم تأخذ نقاط أخر في الأيدي والاقدام وكأنها أساور تدور حول الرسغ ثم تتوزع على الأصابع بطريقة تتناسب وتنظيم العظام والعضلات واستدارة أو تسطح اليد أو القدم.

لقد تسنى لي ونحن نشرب الشاي في مقهى قريب من السوق ان أرى وعلى عجل بعض الأقدام الحافية المحناة باللون الأحمر المحروق الممتزج بالوحل والطين، وان أرى بعض تلك الأساور الشذرية وتفرعاتها الجميلة فوق مشط القدم، أو إلى الاعلى باتجاه الساق حيث انها لا تقل روعة، وتنوعا عما شاهدته في الأيدي والوجوه.

في المرسم، جلست أتأمل تمثالاً صغيراً ساذجاً من الطين أتخذ زاوية مقراً له..

(٣)

فتاة منتصبة الانف
معقودة الشفتين
في الأفق تبعث بالسر
في الأفق تزرع التأمل
في الأفق.. حيث تلقي نظرتها الأولى
وتودع.. نظرتها الأخيرة.
مثل صنم مصري.. خالد.

وضعت الفرشاة بالأزرق، وأخذت أنقط وجه التمثال، على أنفه وخديه، وشفتيه، وحنكه بنقاط وشمية ألفتها.

أخبرني صديق كيمياوي، ان بامكانه صنع بعض الوشم المؤقت في المختبر، وقال أيضاً، ان الوشم يصنع لغرضين الأول التجميل وهو عادة عند النساء والرجال، والثاني التطبب، ويكون الأول في الوجه واليدين، والثاني في الصدغين وتحت الأذنين، وفي الظهر، وكنت قد طلبت من بعض الأصدقاء مساعدتي عن طريق علاقاتهم العائلية، ولكن معلوماتهم التي وردت كانت قليلة الأهمية وهذا ما جعلني انظم قوائم خاصة مرقمة توزع على الأصدقاء وهي اما على شكل أسئلة أو صور كاتمة خالية من الوشم للوجه واليدين والذي يقوم به الصديق، وهو وضع النقاط في أماكنها الصحيحة نقلاً عن الوجوه والأيدي الحقيقية التي يصادفها، ثم أصبحت لهذه البطاقات أهمية عظيمة في البحث.

عندما توجهت نحو السوق وأنا انظر للأنماط البسيطة من وشوم الوجه، دونت ملاحظاتي عن الوجوه النسائية في أقرب مكان توقفت به وذلك في بطاقاتي الصغيرة التي كانت تصاحبني دائما في تجوالي، وقد يسرت هذه التجربة الجديدة لي ابسط الطرق للتدوين الميداني عن طريق الملاحظة والذاكرة، ولكني حين بدأت أدون بعض النقاط وجدت أني قد نسيت الكثير، وكان علي ان أقوم بجولات أخرى كثيرة وسريعة أتأكد فيها من صحة ما دونته في المرات السابقة.

لقد وجدت بعد دراسة كراستي الصغيرة، ان بعض الوجوه توشم بنقطة واحدة بين أعلى العينين، واذا اضيفت نقطة أخرى فانها ستوضع وسط الحنك، فيكون للوجه وشمتان، اما النقطة الثالثة فاما ان تتخذ من الخد الايسر مكاناً لها أو من الخد الايمن أو وسط الانف أو في الجانب الايمن أعلى الشفة، تلك هي احتمالات النقاط الثلاث أو الوجه ذي النقاط الأربع فتكون الأولى بين الحاجبين والثانية على الخد الأيمن، والثالثة فوق الجهة اليسرى من الشفة، والرابعة وسط الحنك.

وكانت آخر ملاحظة لي للشفة انها تحاط بعض الاحيان بنقاط أربع، اثنتان تحت الشفة السفلى، ويمتد في الحنك خط من وسط الشفة السفلى وينتهي أسفله، وقد توشم في الحنك نقطة واحدة أو دائرة.

في مفكرتي الصغيرة، دونت بعض الأفكار، وهي ما كتب أو قيل عن الوشم، في الشعر الشعبي، والشعر العربي، وفي الأمثال العربية والشعبية. حول المدفأة النفطية لاحظت عند صديق لي، وفي كفه الأيمن ما بين الإبهام والسبابة، رسماً لهلال ونجمة عربيين، وكنا نتحدث في شتى الأحاديث، ففاجأته بسؤالي، ما قصة هذه الوشمة الجميلة!

قال: كنت في سجن السماوة وهناك طلب مني احد السجناء ان يعمل لي هذا الوشم، وبعد ان خططت الرسم بالقلم أمسك اليد من الأصابع، وضغط عليها ثم بدأ في ضربها بالابرة حتى دميت، وطلب مني ان لا اقوم بغسلها بعض الوقت. وسألته عما اذا كان عنده وشم آخر في مناطق اخرى من الجسم، اجاب بالنفي، وطلبت منه ان يوضح لي سبب وشم الهلال والنجمة، بدلاً من وشم آخر.

قال: كانت حرب الجزائر على أشدها، وكان هذا الوشم هو المتداول بين الشباب! كرمز لتعاطفهم مع هذه الحرب.

(٤)

في اليوم التالي، قمت وثلاثة أصدقاء برحلة نهرية في مشحوف منطلقين من قضاء سوق الشيوخ، واشترينا حاجياتنا من السوق الشعبي الخاص بالاسماك والخضراوات، وخلال ذلك بدأت انا برحلة في ملاحظة وجوه النساء الموشومات حيث تعرفت على صور جديدة ونماذج في غاية الغرابة، لا سيما في وشم الشفة والانف والحنك وسجلت هذه الملاحظات على الفور في كراستي، ومن خلال ما جمعته خلال هذه الرحلة قررت ان ابحث عن طرق أخرى أكثر سهولة. وكانت طريقتي السابقة تتلخص في دراسة وشم كل وجه على حدة، اما الطريقة الجديدة التي قررت اتباعها، وتتصف بالدقة، وذلك بدراسة كل جزء من الوجه منفصلا عن الاجزاء الأخرى، كالشفة والجبهة والحاجب، والخد والحنك، ان الوشوم التي سجلتها في كراستي وأنا مسترخ على ضفة خضراء من ضفاف الفرات كانت تتعلق بتثليث الشفة، وذلك بوجود ثلاث نقاط فوق الشفة، وثلاث أخرى تحت الشفة السفلى. والجزء الغريب من الموضوع هو دخول الوشم في الشفة السفلى في لونها الأحمر، فقد رأيت وشمة واحدة داخل وسط الشفة السفلى، كما ان طريقة تربيع الشفة ذلك بوضع نقطتين على الجانب الأيسر واحدة بالشفة العليا وثانية بالشفة السفلى تقابل كل منهما الأخرى، ومثلهما في الجهة اليمنى، وقد تمتد هذه النقاط الأربع إلى خطوط قصيرة تتداخل نحو الشفتين فتبدوان للناظر وكأنها خطان يمتدان من الأعلى وينتهيان تحت الشفة السفلى.

لقد أثارت انتباهي ايضاً، النقطتان الجميلتان الساحرتان تحت الجانب الأيمن من الشفة السفلى، يا لهما من ثنائية رائعة، اما في الأنف فهناك تثليث غريب عند اسفل الأنف يكون مثلثا صغيراً، ثم التثليث الثاني على جانبي التقاء الأنف بالعينين، وأهم ما رأيت في هذه الجولة السريعة، هلال تحيط به نقطتان واحدة فوقه والثانية داخله، والهلال قوس مقلوب، بالنسبة لمستوى الأرض، كل هذا الرسم في الجبهة، اضافة إلى الخطين الزرقاوين الممتدين فوق الحاجبين.

وعدنا من رحلتنا هذه عندما اشتد البرد.

ان كثرة المعلومات المهمة التي حصلت عليها من وجوه سوق الشيوخ البنية شجعتني على القيام بجولة ظهر اليوم التالي في سوق الناصرية الشعبي، وبالفعل كانت رغبتي على أشدها حتى غدت نظرتي إلى الوجوه مثل نظرة عالم إلى عينات في مختبر الحياة. كنت أتفحص بعمق محاولاً طبع هذه النقاط الزرق الصغيرة في أعماق ذاكرتي، وحين عدت إلى المقهى دونت ملاحظاتي وهي على حرارتها، هذا الجزء من الوجه الغزير بالرسوم والرموز التي تبدأ من النقطة الواحدة وتنتهي في بحر من النقاط الزرق وفوضى لا مثيل لها.

والنقطة في الحنك هي الوحدة البنائية الوشمية التي يعتمد عليها في الوشم ككل، وان وضوحها وسهولة دراستها في اغلب الوجوه النسائية، لانها ابسط واجمل مايمكن ان تتزين به امرأة أو شابة، خاصة ان ارتبطت ببعض النقاط الاخرى التي تزين الفم او الانف او الخدين والجبهة، نقاط منفردة وقليلة.

ان اكثر النساء لاتسد تلك النقطة او هذه القلة من النقاط، الجميلة رغبتهن في الوشم، وانما يرغبن في وشم اكثر تعقيدا وجمالا يتفق مع منزلتهن الاجتماعية.

لم الاحظ في وشوم الحنك ثنائية، او ثلاثية من النقاط ولكن هناك انواعا مختلفة من التربيعات، منها التربيع المنتظم، وهو اربع نقاط على رؤوس مربع، واقف على احد رؤوسه، ثم رباعية غير منتظمة ولكنها متجمعة وسط الحنك، وهناك تربيعة اخرى متجمعة وهي اربع نقاط متجمعة ومتلاصقة مع بعض وسط الحنك، وما يلفت النظر هو الاهتمام بوضع ثماني نقاط على شكل دائرة متجمعة، او دائرة حقيقية تتوسطها نقطة، وقد يضاف خط اعلى الدائرة، وتلك هي اوضاع مختلفة، وفي بعض الاحيان تكتفي المراة بتزيين الحنك بخط يمتد من اسفل وسط الشفة وينتهي اسفل الحنك، وقد يقطع بخط اخر على شكل صليب، او يفصل ثم يستمر وتوضع على جانبيه بعض النقاط.

هناك رموز اخرى منها بعض العلامات والخطوط والاحرف المقلوبة تحاط بها نقاط، والى غير ذلك من الاشكال التي لها دلالاتها.

عند عودتي الى مرسمي، قررت ان اطبق خطة جديدة في دراسة وشوم الحنك، وذلك بوضع فهارس للنقاط واشكالها، وهذه الرسوم والرموز تتفق مع طريقتي في التجزئة والتصنيف، وقد وضعت هذا الفهرس استنادا الى المعلومات والرسوم التي حصلت عليها من ملاحظاتي، مستعينا بكراساتي ودفاتري الصغيرة، وظل هذا الفهرس مفتوحا، ففي كل يوم اجد سعادة في اكتشاف جديد استكمل فيه نواقصه.

وهذه الاكتشافات تثيرني لانها جديدة وغريبة، ومثال ذلك كنت اعتقد ان الخد يوشم بنقطة واحدة، ولكني عند جولتي في السوق، وانا انظر الى احدى البائعات وهي تكشف عن جزء يسير من خدها الايمن رغم البرد الشديد لمحت وشما غريبا، وتقربت منها، فتعرفت الى هذا الوشم، انه مثلث ازرق متساوي الاضلاع قاعدته الى الاسفل وفوق راسه نقطة، وتحت قاعدته نقطة.

ان هذا الكشف دفعني للقيام بجولات جديدة، فالنماذج التي اراها كل يوم وكل دقيقة امر بها بعدد من النساء البائعات والمتسوقات في سوق الخضار او الفاكهة، كثيرة ومتنوعة وهذا ماجعلني ان لا اتردد في الاسراع بتدوين كل ما أرى بعدما الاحظ بصورة دقيقة وعامة ما صادفته وما استطعت تدوينه من هذا البحر الواسع.

(٥)

اثناء احدى جولاتي مع صديق، في السوق استوقفتنا قارئة حظ وطلبت منا ان تقرأ طالعنا، وكانت تحيط بها امرأتان، وكان امامها طبق صغير وضعت فيه مجموعة من الحصى والمحار والنقود القديمة ثم حملت هذه المجموعة، والتي تتكون من عشرين قطعة او اكثر بقليل بكفيها ثم رمتها جميعها في الطبق، وراحت تقلب واحدة، اثر اخرى ثم تبدأ بالقراءة وحين لم تقتنع احدى الامرأتين بكلامها، اعادت الكرة مرة اخرى، ومرتين، وثلاثا، ولكي المرأة لم تقتنع ايضا ما جعلها ترمي الحصى بنفسها، ولما فعلت ذلك وبحركة منها كشفت عن احدى قدميها وجزء يسير من الساق، فبدت مجموعة من النقاط الوشمية الممتدة من رسغ القدم على الجانب الانسي حتى الاعلى، وكان الظاهر منها مايقارب عشر نقاط حفظتها، وكان علي ان افعل ذلك سريعا مثل قارئة الطوالع.

في المساء كنا في احد مقاهي الناصرية، نشرب الشاي وبالقرب منا جلس شابان يلعبان (الازنيف)، لم يثرا انتباهي بادئ الامر، ولكن بعد برهة وجدت ان على اليد اليسرى لاحدهما وشما على شكل هلال ونقطتين، وهو شبيه بوشوم اخرى، مثل الوشم الذي رأيته في جبهة امرأة في سوق الخضار بقضاء سوق الشيوخ، انه يقع في المشط وعلى مسار الخنصر مباشرة.

واستمر الرجل يلعب الازنيف فلاح لي ظاهر كفه الايمن، واول ما لاح من الوشم فيها صليب على رسغه، راسه في امتداد الساعد، وعلى جانبي الرأس وبالقرب من زاويتي التقاطع العلويتين وضعت نقطتان، ثم القيت نظرة اكثر عمقا على مشط واصابع اليد اليمنى، فرايت اربع نقاط على مسار الابهام في المشط، وخطا ونقطة من اسفل مسار البنصر، توازيه ثلاث نقاط اخرى.

كانت هذه الملاحظة بداية فتح جديد في دراستي حيث اني حيث ذهبت الى غرفتي لاسجل مارايت، وما لاحظته في ذاكرتي كان لابد لي من ان اضع منهجا لهذا النوع من وشوم الايدي، ذيلته ببطاقة للتفاصيل، وهذه البطاقة تكون اما للرجل، او للمرأة، واما لليد اليمنى، او لليد اليسرى وفيها تشريح كامل ومبسط لليد وللرسغ والمشط ومسارات الاصابع واسمائها، ولكل وشم رقم، ان هذه الطريقة بالتصنيف ساعدتني الى احد بعيد في الدراسة والحصر وقد استعملت الاحرف والرموز للسهولة بدلا من الاسماء فيما بعد.

(٦)

اثناء تناول طعام الغداء في المقهى الشعبي اخبرني صديقي بانه يرغب في اطلاعي على وشم يد في غاية الجمال والغرابة، فاسرعنا في تناول طعامنا واتجهنا نحو السوق الشعبي الذي توجد فيه هذه الوشوم، وبعد جولة قصيرة اتضحت لي خلالها بعض النقاط التي لم اكن قد تأكدت منها، فيما مضى، ومن هذه النقاط وجود نقطتين في الخد الايسر لفتاة شابة، ان هاتين النقطتين لهما سحر غريزي، وهما في احد الخدين، او الى تحت ايمن الشفة السفلى وهما اكثر نقاط الوشم اثارة وجمالا.

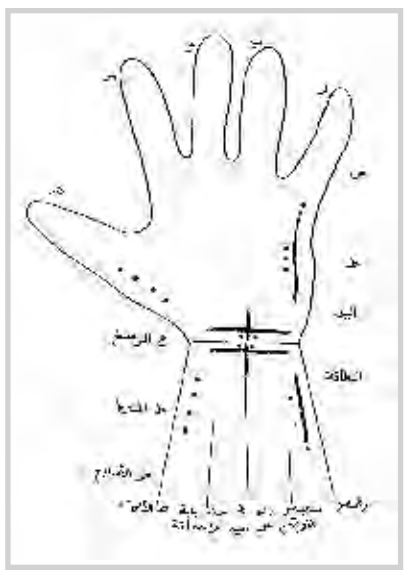

تسللنا الى مناطق مغمورة في السوق رغبة في اكتشاف جديد، ولضيق وقتنا عدنا ادراجنا فلم يكن هناك مايثير انتباهنا سوى بعض رسوم الحنك، والشفتين وليس فيها ماهو جديد او غير مدون الا القليل، وقد لاقيت صعوبة في تدوين ورسم وشوم الحنك، بسبب العادة السائدة عند اغلب النساء وهي تغطية الحنك والفم، وقد يعود سبب ذلك الى الحياء او البرد، او الاثنين معا.

في العودة طلبت من صديقي ان يفي بوعده في اطلاعي على وشم غريب، وما ان مرت لحظات حتى طلب مني الانعطاف في زقاق فرعي حيث الكثير من بائعات الفاكهة وخاصة البرتقال والليمون، ثم اقتربنا من فتاة متفجرة الجمال والشباب والحيوية، واخذنا نسألها عن اسعار الفاكهة وهي تقلبها وتبارك جودتها، ونضوجها، وتكشف عن كفها وكان سحرا لوشم الشذري فوق الكفين البيضاوين مثل موج بحر من النقاط والخطوط.. وفي اللحظة اصبحت لااطيق هذا المنظر الذي هزني بعنف، فاسرعت بالطلب من صديقي ان نغادر السوق ونغادرناه من دون ان نتفوه بكلمة او ان نشتري شيئاً، وكنت في تلك اللحظة كالمسحور بسحر عالم غريب، ذلك هو عالم الفنانين المجهولين الذين يخطون هذه الرموز تدفعهم قدسية كامنة في ذواتهم.

في المساء ذهبت لتعزية صديق لنا بمصاب الم باحد اقربائه، وفي السيارة، جلست بالقرب مني امرأة كانت قد امسكت المقبض الذي امامي، وقد وفرت لي فرصة التقاط ما وشم في يدها، وكان خطوطا متقاطعة ونقاطاً ولكني لم استطع تدوينها في الحال لضيق المجال، الا ان ذلك لم يمنعني من ان استعين بذاكرتي التي اخذت تتدرب تدريجيا على الحفظ الصحيح.

في مجلس الفاتحة، كان رجل كبير السن قد جلس بالقرب مني، وقد استطعت ان المح بيده اليسرى بعض الخطوط، ثم تاكدت بعد ذلك انه خط واحد في الرسغ ومجموعة من النقاط تصطف فوق المشط وهي تمر في مسار الخنصر، وليس من السهولة عد هذه النقاط فقد كان البرد شديدا، والرجل يظهر كفه لحظة ويعود ليخفيها تحت كم العباءة.

عند الخروج، استطعت ان اخمن عدد النقاط بأنها مايقارب العشر حين صافحت الرجل، وضغطت على يديه، وتأخرت قليلا في تركها.

اثناء عودتي، دونت في كراسة بطاقات الايدي تلك المعلومات التي جمعتها.

عند رجوعي الى الناصرية، اخبرني صديقي بان لديه اشياء يعتقد ان لها صلة بالوشم، وفي الحال اتجهنا نحو السوق لغرض الاطلاع والرسم، وطلبت اليه ان يفصح عما في رأسه من افكار.

قال:- ان للشذر اهمية سحرية عند بعض الناس، فهو يجلب الخير لهم والوفر، ويبعد الشر، وسبب ذلك يعود الى لونه الاخضر او الازرق، وبما ان للوشم اللون نفسه، فهو الى حد ما شبيه بالشذر وتكون له الصفة السحرية نفسها.

قلت له:- قد يكون ذلك صحيحاً، ولكن قبل ذلك علينا ان نبحث عن بعض الشذر عند البائعات الشعبيات، في سوق (الصفا) ثم نستفسر عن اهميته بالنسبة لهن ونقارن.

اخذنا طريقنا نحو (الصفا) وهو سوق شعبي تباع فيه مختلف الحاجيات بما في ذلك الطيور والاثاث القديم والمستعمل، والالات الكهربائية وغيرها، وتوجهنا فورا صوب امرأة لها من الصحة والسمنة وطول العمر، مايتسع له هذا المبسط الصغير المشحون بالحاجيات البسيطة والصغيرة، المرمي بعضها على الارض والمعلقة في السقف، او على الجدران، او محشورة في زوايا لا تعد ولاتحصى، وكانت امامنا طاسة نحاسية فيها مجموعة من اقراص الخرز المقرنصة وفيها سبعة ثقوب، ولما سألتنا عن طلباتنا، قلنا لها، اننا نرغب في شراء بعض هذه الخرز فرحبت بنا وذكرت ان الكثير من السواح الاجانب يشترون هذا النوع وخاصة النساء منهم، ثم سألتنا عن غايتنا من شرائه، فقلنا لها باننا سنستعمله ازرارا لقمصاننا فاستغربت المرأة.. ثم جاء دورنا في طرح الاسئلة وكان اول سؤال وجهته لها عن الاستعمال الحقيقي لهذا النوع من الخرز، قالت:- انه يستعمل لابعاد الشر ولحراسة الاطفال من عيون الحساد، ثم سألتها عن اسم الخرزة الواحدة.. قالت:-

خضرم او سبع عيون.

وقي هذه الاثناء، كنت انظر الى الوشم الذي انتشر بغزارة بظاهر كفيها، ولكن وجدت ان من الصعب حفظه بسبب كثرة تشعبه فوجهت اليها سؤالا عن غاية هذا (الدك).

قالت:- لا غاية له سوى غاية واحدة.. هي (الغوى) ثم اضافت:- وضعت هذا (الدك) حين كنت (حديثة) وانه حرام!

ثم تساءلت عن معنى كل هذا.. وكل انواع التزين!، وماالغاية منه! وبعدها اخذت تجيب عن اسئلتنا فقالت:- (الزينة تقلل من شأن المرأة العاقلة..الخ) لقد ادركت في الحين، ان كبر سن المرأة جعلها تتخذ هذا الرأي!.

ثم بحثنا في المباسط الاخرى عن نوع صغير من الخرز فلم نجد، ولكنا تعرفنا الى وفرة من الاسئلة، ومضينا وكانت جولتنا لا تخلو من فائدة، ففي سوق الفاكهة، رايت رسما جديدا لوشم الخد، وهو عبارة عن هلال مقلوب تحيط بها نقطتان ورسما اخر للحنك وهو غصن شجرة مجردة من اوراقها، ورسوما اخرى اقل اهمية.

اما بقية وقتنا فقد قضيناه في المقهى المطل على شارع الحبوبي، أكبر شوارع مدينة الناصرية، وقد اخبرني صديقي عن اسم الشارع القديم... فقال:-انه عكد الهوى.

ستديو ثقافة شعبية

الملك غازي الاول على فراشه بالدشداشة البغدادية يعزف على العود ..وهي صورة نادرة

شارع النهر موديلات .. وبنات

مشهد من مسلسل النسر وعيون المدينة .. قادر بيك (خليل شوقي) رؤوف بن اسماعيل جلبي (مقداد عبد الرضا)